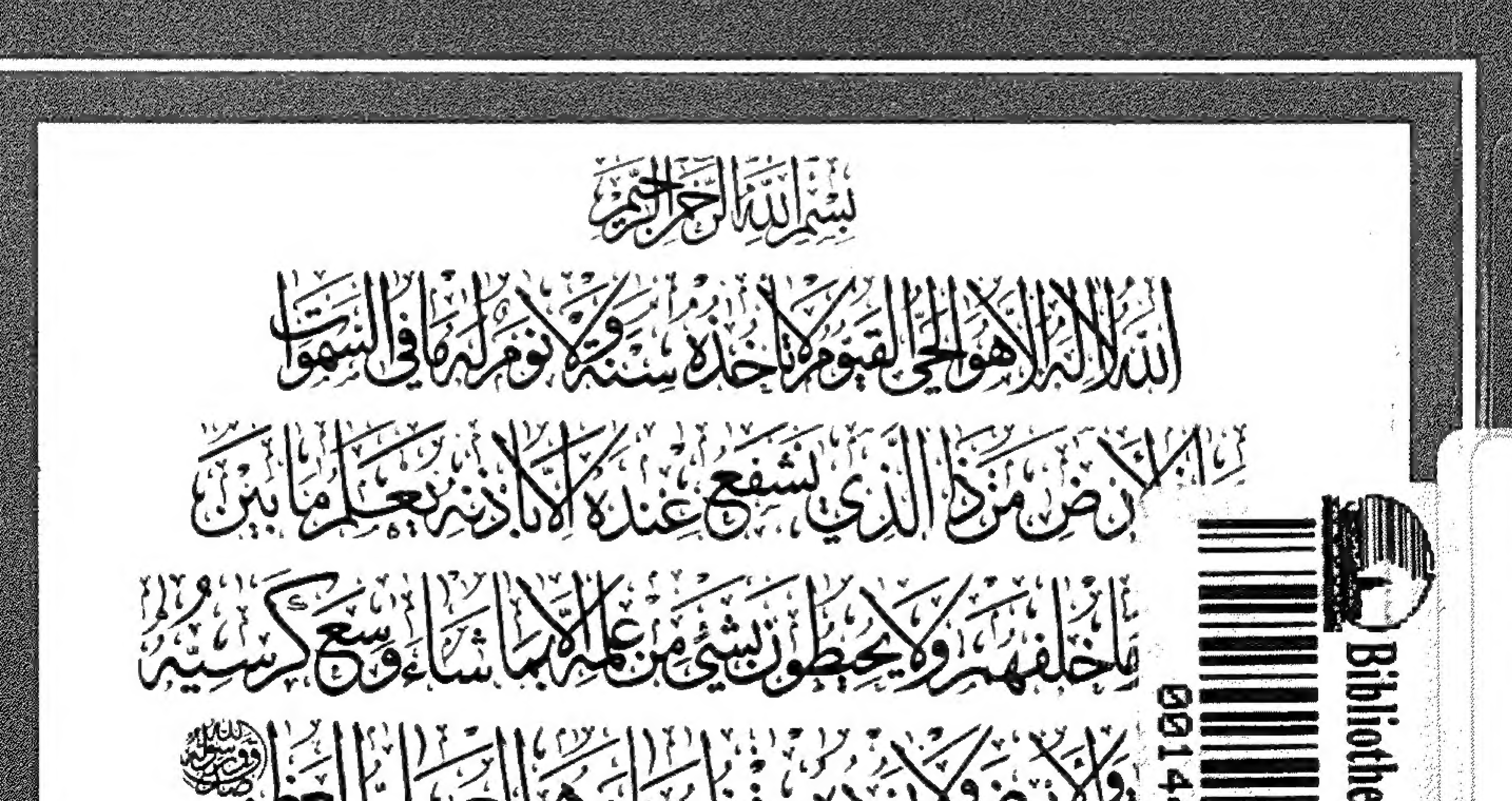
من وحي القرآن الحكيم ٦

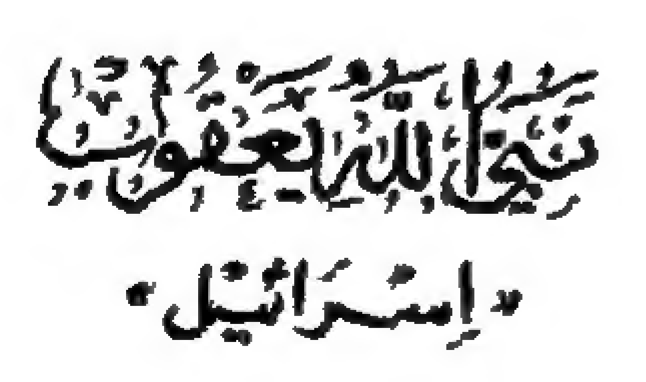
نبي الله يعقوب

«إسرائيل»

دكتور حامد عوض الله



دار ومكتبة الهلال


نبي الله يعقوب
«إسرائيل»

من وحي القرآن الحكيم ٦

نبي الله يعقوب
«إسرائيل»

دكتور حامد عوض الله

منشورات
دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان

١٩٨٨

الإدارة العامة: دار ومكتبة الهلال بئر العبد ـ شارع مكرزل

بيروت ـ ص.ب: ١٥/٥٠٠٣



وتبعه خليل الله « إبراهيم » الذي جعله الله إماماً للناس، تاركاً ولده الأكبر « إسماعيل » وبنيه حول « بيت الله الحرام » ليقيموا الصلاة وليطهروا البيت العتيق أول بيت وضع للناس على وجه الأرض ليذكر فيه اسم الله . . . وولده الأصغر « إسحاق » وإبنه « يعقوب » في أرض التين والزيتون من فلسطين.

وتكاثرت ذرية نبي الله « إسماعيل » وتفرقت. . . وكان لها ما كان حتى بعث الله فيهم خاتم أنبيائه محمد بن عبدالله (ص) وأتمّ تعالى به دينه الذي ارتضاه للعباد. . . وجعله الله بشيراً ونذيراً للناس كافة. . . للأمم من حوله في زمانه (ص). . . وللأمم التي سوف تأتي من بعده حتى يرث الله الأرض ومن عليها. (١)

---

(١) للمزيد يرجع إلى كتابنا « الخامس » في هذه المجموعة « بنو إسماعيل ».

وكان نبي الله « إسحاق » يصغُر عن أخيه نبي الله « إسماعيل » بسنوات عدّة. . . فقد بين الله لنا في محكم آياته، أن بشارة رسل الله الذين أرسلوا لهلاك « قوم لوط »، لخليل الله إبراهيم بولادة « إسحاق »، كانت من بعد أن ابتلى الله خليله « إبراهيم »، البلاء الأكبر وأمره بذبح وحيده إسماعيل. فلما امتثل إبراهيم لأمر ربّه وأخذ وحيده إسماعيل ليذبحه، جاءه أمر الله بقول الله تعالى ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم. قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم. وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم. كذلك نجزي المحسنين. أنه من عبادنا المؤمنين. وبشرناه بإسحاق نبّياً من الصالحين ﴾ من آية (١٠٤) سورة الصافات.

فكانت ولادة «إسحاق» من بعد أن أتمّ الله ابتلاء إبراهيم بكلماته وأوامره كلها وكان آخرها أمر الله لإبراهيم بذبح وحيده « إسماعيل ». . . كان أول هذا البلاء حين أمر الله رسوله إبراهيم بالوقوف أمام جبّار البلاد الذي آتاه الله الملك وقال ﴿ أنا أُحيي وأُميت ﴾، ليدعوه إلى دين الحق. فامتثل إبراهيم لأمر ربّه ونال في سبيل أمر الله ما نال حتى أُلقي في النار. . . وابتلاه الله

بالوقوف في وجه أبيه « آزر » وما يصنع من تماثيل يضل بها الناس، فأمتثل إبراهيم لأمر ربّه وكان حب الله عنده أكبر من حبّ مَن في الأرض جميعاً.. وابتلاه الله بالهجرة- في سبيل إعلاء كلمة الله، والبعد عن قومه وأرضه، فأمتثل لأمر ربّه وترك الدنيا وما فيها في سبيل الله... وابتلاه الله بالعقم لسنين عديدة، فلم ييأس من رحمة الله وراح ينتظر رحمة ربّه، فوهب له على الكبر إسماعيل وإسحاق... وابتلاه الله بترك وحيده « إسماعيل » وامه « هـاجر » في أرض غير ذي زرع ولا ماء ولا ناس عند قواعد بيت الله الحرام بأرض مكة.. فأمتثل لأمر ربّـه وترك أمله عنـد البيت العتيق... ثم ابتـلاه الله بـذبـح إبنـه وحيـده « إسماعيل »، فراح يمتثل لأمر ربّه وهمّ بذبح وحيده لولا رحمة الله التي جعلها تعالى له ولإبنه من بعده ليكون من ذرية خاتم رسل الله وليكون من بنيه خير أمّة أُخرجت للناس تحمل دعوة الله من بعد أن يختم الله رسالاته للبشر... وتدعو الأمم من حولها إلى دين الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فلمّـا أتمّ الله كلماتـه وأوامره لخليله « إبـراهيم » وأمتثل إبراهيم لأمر ربّه، أنزل الله عليه نعمته بأنه جعله إماماً للناس يدعو بإذن ربّه لدين الحق ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم

ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً ﴾...
وحمد نبي الله إبراهيم ربّه على هذه النعمة وراح يدعوه ليكون وذريته من بعده أئمّة للناس، فجاءه أمر الله **﴿.... قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾** آية (١٢٤) سورة البقرة.

فكان عهد الله لإبراهيم من بعد أن أتمّ إبراهيم إمتثاله لما أمره به ربّه وكان آخر ذلك البلاء.. هو أمر الله لخليله بأن يذبح وحيده «إسماعيل» **﴿ وكان ذلك هو البلاء المبين ﴾**(١)... فعهد الله لإبراهيم كان قبل أن يولد له «إسحاق» وليس بعد مولد «إسحاق» كما تقول يهود ونصارى **﴿ بني إسرائيل ﴾**(٢)... وعهد الله لإبراهيم كان بأن يجعله إماماً للناس... وليس بأن يملّكه وذريته الأرض التي ما بين نهر الفرات ونيل مصر أو «أرض الميعاد» كما تقول يهود ونصارى **﴿ بني إسرائيل ﴾**(٣).... ولم يكن العهد قاصراً على ذريّة **﴿إسحاق بن إبراهيم﴾** وحدهم (٤). بل كان

---

(١) آية رقم (١٠٦) سورة الصافات.
(٢) تكوين: ١٧: ٢٠.
(٣) تكوين: ١٥: ١٨.
(٤) تكوين: ١٧ ـ ٢٠ وما بعدها.

« العهد » لإبراهيم ومَنْ صلح من ذريّته سواءً من ذرية ولده « إسماعيل » أو من ذريّة ولده « إسحاق » فقرآن الله وضّح لنا هذا في دعاء إبراهيم ربّه بأن ينال عهده ذريّة ﴿ ... قال ومن ذريّتي... ﴾ فجاءه أمر الله تعالى ﴿ ... قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ آية (١٢٤) سورة البقرة.

فـ «عهد الله» لإبراهيم ومَن صلح من ذريّته «عهد» بحسن ثواب الدنيا والآخرة، عهد لا يناله إلاّ عباد الله المخلصون الذين يرجون الله واليوم الآخر وليس بـ « عهد » لا يطلبه إلاّ من أراد الدنيا وتملكّها كماقالت يهود ونصارى ﴿ بني إسرائيل ﴾... (١)... ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ آية (١٨) سورة الاسراء.

---

(١) تقول نصارى ويهود أن العهد الذي قطعه الله لنبيّه إبراهيم كان بأن يملكه وذريّته الأرض التي ما بين نهر الفرات ونهر النيل وخصصوا هذا العهد على ذريّة إسحاق ثم على ذريّة « يهوذا » إبن « يعقوب » إبن « إسحاق »... ثم قصره النصارى على أتباع « شاؤول » الذي جاء بدين المسيحيه.

نبي الله « إسحاق »:

وعاشِ نبي الله « إسحاق » وولده نبي الله « يعقوب » ألذي كنيَ بـ « إسرائيـل »، في أرض فلسطين في جوار قـومه من «بني عـابر» الـذين أكرمـوا خليـل الله حـين أتـاهم واتبعوا دين الله الـذي دعـاهم إليـه. . . وكـان «إسحاق» إماماً لأهله من بعد أبيه وكان «يعقوب» من بعده إماماً للمسلمين فالله يقـول ﴿ ووهبنا لـه = لإبراهيم = إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم = إبراهيم وإسحاق ويعقوب = أيمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ آية (٧٢) سورة الأنبياء.

ولم تبينّ لنا آيات الله الحكيمة من ولد « إسحاق » إلاّ يعقوب ولكن يهود ونصارى تقول أن « إسحاق » تزوّج في سن الأربعين وبقي عشرين عاماً عقيماً ثم رزقه الله بتوأمين « عيسو » و« يعقوب » وإذ هم الولدان في بطـن زوجه فدعت ربهّا، فأوحى لها الله أن في جوفك أمتـين ومن أحشائك يتفـرّع شعبان شعب يقـوى على شعب وكبـير يُستعبد لصغير. . . فلما وضعت ما في بطنها خرج أول من خرج « عيسو » ثم خرج من بعده «يعقوب». . وكان

إسحاق يحب «عيسو» وإمرأته تحب «يعقوب» ثم كان بعد ذلك أن جاع «عيسو» ولم يجد طعاماً إلّا عند أخيه «يعقوب» لعرض يعقوب عليه الطعام على أن يبيعه بكوريته، فاضطر «عيسو» لبيع بكوريته لأخيه «يعقوب» سظير إطعامه وبذلك فاز «يعقوب» ببكورية «إسحاق»... (١)... وبعد ذلك قالت يهود ونصارى أن إسحاق أورث النبوة لإبنه «يعقوب» حين إحتالت زوجه عليه وقدمت له «يعقوب» بدل «عيسو» وكان إسحاق قد كفّ بصره فبارك «يعقوب».. فلم يتمكن إسحاق بعد ذلك أن يمنح «عيسو» إلّا بركة ثانوية ضئيلة.. (٢). وغضب «عيسو» فأشارت زوج إسحاق أن يرسل «يعقوب» إلى الشرق بعيداً عن غضب أخيه فذهب ومكث هناك عشرين عاماً وجاء قبل وفاة أبيه إسحاق ليحضر دفنه مع أخيه «عيسو»... (٣). وهكذا إستحق «يعقوب» كما تقول يهود ونصارى، العهد الذي وعده الله لإبراهيم في ذرية إسحاق بتملّك الأرض التي بين الفرات والنيل، لأنه إشترى بكورية «عيسو» ولإن

---

(١) تكوين: ٢٥: ٢٢ ـ ٣٤.

(٢) تكوين: ٢٧: ١ ـ ٤٠.

(٣) تكوين: ٣٥: ٢٩.

الله كما تقول يهود ونصارى، قد تجلى لـ « إسحاق » عند ولادة ولديه وقال له ولإمرأته. . . ﴿ فقال لها الرب أن في جوفك أمتين ومن أحشائك يتفرع شعبان، شعب يقوى على شعب وكبير يُستعبد لصغير ﴾ (١).

فكأنما النبوة ميراث من الأب يرثها إلى إبنه وليست نعمة من الله يهبها لمن يشاء من عباده الصالحين. . فـ« إسحاق » كما تقول يهود ونصارى كان يريد النبوة لإبنه « عيسو » ولكن زوجه خدعته فقدمت له « يعقوب » فورث « يعقوب » النبوة وورث « عهد الله » كما يقولون بميراث الأرض التي بين النيل والفرات. . . .

وراحت يهود « بني إسرائيل » ونصارتهم فزادوا وقالوا

---

(١) لقد تمثلت يهود حين كتبوا هذه الأسفار وهم في « أسر بابل »، تمثلت بأسطورة بابل وأهل ما بين النهرين عن الإلّه « رزوان » الذي كانوا يعبدوه. . فقد قالت « بابل »: أن « رزوان » أي « الزمان » حمل بوليديّن إلهينّ فنذر بتملّك الدنيا لمن يخرج منهما من بطنه أولاً. . . فخرج إلّه الشر قبل إلّه الخير. . . فحزن الإلّه الأكبر «رزوان» ولكنه لم يستطع إلاّ أن يفي بوعده. . فجعل لإلّه الشر تملّك الدنيا لأجل محدّد وهو إثنى عشر ألف عاماً على رأس كل ألف عام يولّد نذير من نسل الخير يهدي الناس للخير من بيت « ذرادشت » وحين تنتهي الإثنى عشر ألف عام يعمّ الخير ويذهب إلّه الشّر إلى أسفل الأسفلين.

عن إسحاق الكذب والضلالة... قالوا أن نبي الله « إسحاق » حين ضاقت به الأرض هاجر وزوجه إلى أرض أمير العرب « أبي مالك » طلباً للرزق خاف « إسحاق » على زوجه الجميلة من أبي مالك ليطمع فيها ويقتله، فكذب على « أبي مالك » وقال عن زوجه أنها أخته فيزيّنها لدى أبي مالك فيرزقه بسببها ولا يقتله.. (١) ..... فما كان لنبي ليكذب ولو كان في ذلك هلاكه... وما كان إسحاق كاذباً وما كان من الظالمين... والله يقول عنه حين أرسل رسله ليبشروا خليل الله بولادته **﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾** آية ١١٢ سورة الصافات.

نبي الله « يعقوب »:

ومات نبي الله « إسحاق » فأوحى الله لولده « يعقوب » بأن يكون إماماً لأهله ونبيّاً لقومه من بعد أبيه... وتزوّج « يعقوب » فوهب الله له إثنى عشر ولداً وكان ولده قبل الأخير « يوسف » الذي إختاره الله نبيّاً من بعد « يعقوب ».

وافترت يهود ونصارى على الله وعلى نبيّه يعقوب

(١) تكوين: ٢٦: ٧.

وكتبت في كتبها المقدسة ما لم ينزل به الله من سلطان . . قالت عن « يعقوب » أنه وأمّه « رفقة » غشّا أبيه إسحاق وأخذ منه البركة والنبوة التي كانت لتوأمه « عيسو » (١) . . . . وقالوا عنه أنه إختلس البكورية من أخيه « عيسو » حين جاع . . فأصبح هو وارث « مواعيد الله » بإمتلاك الأرض التي بين الفرات والنيل . . (٢) . . . وقالوا أن « يعقوب » صارع الله عند نهر يبوق في وادي الرزقا حتى الفجر فلما قرب إشراق الشمس قال له الله أطلقني قبل أن تطلع الشمس . . . فلم يتركه يعقوب إلّا من بعد أن باركه الله وقال له لا يكون إسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل . . . فأطلعه يعقوب ربّه وقد إنخلع حق وركه في مصارعته لله . . . وراح يعقوب يقدّس المكان ودعاه « فنوئيل » أي « وجه الله » لأنه قال « إني رأيت الله وجها إلى وجه ونجيت منه »؟! (٣) . . . وقالوا عن « يعقوب » أنه إشترى أرضاً من « بني حمورابي شكيم » فخرجت إبنته « دينة » فرآها « شكيم بن حمور » رئيس البلدة فأخذها وضاجعها وأذلّها ثم راح يخطبها فأجتمع بنو يعقوب وطلبوا

---

(١) تكوين : ٢٧ : ٦ وما بعدها.

(٢) تكوين : ٢٥ : ٣١.

(٣) تكوين : ٣٢ : ٣٠.

أن يختن « شكيم » وأهله حتى يحق لهم الزواج من « بني يعقوب» فختن أهل شكيم أنفسهم فانقض عليهم بنو يعقوب وقتلوهم وهم في آلامهم من الختان لا يقدرون على شيء فخاف يعقوب على نفسه وأهله من فعله بنيه فرحل إلى « بيت المقدس»... (١).

وهكذا صوّرت يهود ونصارى حياة نبي الله « يعقوب » فجعلته رجلاً لا ضمير له، يغش والده نبي الله ويسرق بكورة أخيه وأنه ترك إبنته ليزني بها « شكيم »... وأنه إلتقى مع الله سبحانه وتعالى وصارعه حتى الفجر فترجاه الله أن يطلقه قبل أن تشرق الشمس فأبى يعقوب أن يطلق ربّه إلا من بعد أن باركه ودعاه بـ «إسرائيل» لأنه تغلّب على الله وبهذا سوف يتغلّب على البشر!!..

... هل هذا بقول يعقله أحد.. سبحان الله وتعالى عمّا يصفون وسلام على «يعقوب» الذي كان عند الله من المصطفين الأخيار.. ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار. إنا أخلصناهم بخالصة

---

(١) تكوين: ٣٤: ١ ـ ٢٦.

ذكرى الدار. وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾... آية (٤٥) سورة ص.

ووهب الله لنبيه « يعقوب » إثنى عشر ولداً وكان ولده قبل الأخير «يوسف».. وكان « يوسف » أحب أولاده إليه. وكان يعقوب يعلم من الله بما أعدّه تعالى لإبنه « يوسف » من نعم... ودخل الشيطان في قلوب الأخوة العشرة وهم يرون أباهم وحبه لـ « يوسف » وأخيه الأصغر (١) ... ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين. إقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين ﴾ آية (٨) سورة يوسف.

وبينما كان الأخوة مع الشيطان يوسوس لهم قتل « يوسف »... كان « يعقوب » في منامه يرى ما أراه الله وكشف له به عمّا سوف يلحق « بيوسف »... فرأى يعقوب في منامه عشرة ذئاب يحيطون بيوسف وكادوا أن يفتكوا به، فأنشقت الأرض من تحت يوسف فسقط فيها

---

(١) تقول اليهود إن أولاد يعقوب كانوا من أربع نساء: رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون من زوجة، ودان ونفتالي من زوجة، وجاد وأشير من زوجة، ويوسف وبنيامين من زوجة. [تكوين: ٣٥: ٢٣]

ونجى من الذئاب... وهب يعقوب من نومه فزعاً وكأنما الذئاب ما زالت أمام عينيه، فوجد يوسف نائماً إلى جواره، فتحسّسه ليطمئن قلبه عليه فصحيّ يوسف وتطلّع إلى وجه أبيه وقد أنار وجهه بما أراه الله هو الآخر في منامه من خير ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ آية (٤) سورة يوسف.... فاطمئن « يعقوب » على يوسف بما أراه الله وحمد ربّه الذي أزاح عنه الخوف الذي تملكّه حين رأى ما رأى في منامه... وراح يملأ عينيه من وجه إبنه يوسف و ﴿ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدّو مبين. وكذلك يجتبيك ربّك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمّها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربّك عليم حكيم ﴾.. آية (٥) سورة يوسف.

وجاء إخوة « يوسف » إلى أبيهم وقد تملكّهم الشيطان يريدون هلاك يوسف.. ويعقوب يعلم من ربّه ما في قلوبهم من كره... ﴿ قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنّا على يوسف وإنا له لناصحون. إرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ﴾ آية (١١) سورة يوسف.

وتطلّع « يعقوب » في وجوه بنيه العشرة وكأنّما يرى فيهم الذئاب التي أراها الله له في منامه تحيط بيوسف تريد هلاكه و ﴿ قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون. قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون ﴾ آية (١٢) سورة يوسف. ثم راح يعقوب يملأ عينيه من يوسف ثم أرسله معهم لقدر الله الذي قضاه له.

وأخذ الأخوة العشرة أخاهم يوسف... فلما ذهبوا به وأجمعوا على الخلاص منه بإلقائه في بئر كانت في طريق القوافل التي تقطع البلاد إلى مصر... تملّك « يوسف » الخوف مما رآه من إخوته، فجاءه أمر الله يطمئنه بما قدرّه الله له من نعم ﴿ وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ آية (١٥) سورة يوسف.

وألقى الأخوة العشرة أخاهم « يوسف » في البئر بعد أن نزعوا قميصه ولطخوه بدم كذب ﴿ وجاءوا أباهم عشاءً يبكون. قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين. وجاءوا على قميصه بدم كذب ﴾... فتطلّع يعقوب إلى بنيه وهو يرى الكذب الذي فيهم ﴿ قال بل سوّلت لكم

أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ آية (١٦) سورة يوسف.

وهكذا صوّر لنا الله في محكم آياته ما كان ليوسف مع أبيه وإخوته قبل أن يرسل به الله إلى مصر ليملك مفاتيح الأرض.... ولكن ماذا كان قول يهود ونصارى في هذا الأمر؟.. قالوا أن نبي الله « يوسف » حين رأى ما أراه الله في منامه، راح يقصّ الحلم على أبيه وإخوته، فزجره أبوه وقال له: ما هذا الحلم الذي رأيته؟! أترانى نجيء أنا وأمك وإخوتك فنسجد لك إلى الأرض؟!... [١].... وقالوا أن نبي الله يعقوب هو الذي أرسل يوسف إلى إخوته ليلحق بهم وأن الإخوة لم يطلبوا من أبيهم أن يرسل معهم يوسف [٢].

« يوسف » في مصر:

﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ﴾ آية (١٨) سورة يوسف... وحملت السيارة يوسف معها

---

(١) تكوين: ٣٧: ١٠.

(٢) تكوين: ٣٧: ١٣.

إلى مصر وعرضوه على عزيز مصر، وزيرها الأول وكان عقيماً لا ولد له فاشتراه منهم.. ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الـزاهدين. وقـال الذي إشتراه من مصر لإمرأته أكـــرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا.... ﴾... ودخـل «يوسف» بيت وزيـر مصر الأول ليعيش فيه، فاطمأن قلبه ورأى ما وعده ربّه حقًّا ﴿ ..وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكنه أكثر الناس لا يعلمون ﴾ آية (١٩) سورة يوسف.

وشبّ يوسف وكبر في منزل وزير مصر وزادته تقوى الله جمـال على جمـال، وحسّن في عيني إمرأة الـوزيـر، فـوسوس إليهـا الشيـطان لتـزين لـه فعـل السـوء... ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي أنه لا يفلح الظالمون﴾... وحفظ الله يوسف من الفاحشة حين ذكر ربّه وتعوّذ به.. ولولا أن ربط الله على قلبه لهّم بها ﴿ ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رءا برهان ربّه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ آية (٢٢) يوسف.

وتملّك الشيطان امرأة العزيز حين أعرض يوسف عنها... فأمسكت به تشدّه إليها نزع « يوسفَ » نفسه منها وأسرع إلى الباب يفتحه ليخرج منه، فأمسكت بقميصه من دبر تجرّه إليها فقدّت قميصه وفتح يوسف الباب فوجد سيدها لدى الباب... فتمالكت إمرأة العزيز نفسها وصاحت في وجه زوجها ﴿.... **قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلاّ أن يسجن أو عذاب أليم** ﴾... فتطلّع العزيز إلى « يوسف » وهو يعلم أمانته وصدقه، فنطق يوسف بالحق ﴿ **قال هي راودتني عن نفسي...** ﴾... وازدحم المكان بأهل البيت، فخرج صوت حكيم يقول: ﴿ ... **إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين** ﴾ آية (٢٨) سورة يوسف.

وتطلّع العزيز إلى قميص يوسف ﴿ **فلمّا رءا قميصه قدّ من دبر....** ﴾ عرف صدقه فتطلّع إلى زوجه ﴿ ... **قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم** ﴾... ثم التفت إلى « يوسف » يطلب منه ألاّ يحدّث أحداً بما كان وقال له ﴿ **يوسف أعرض عن هذا...** ﴾ ثم راح يلوم زوجه على فعلتها ويطلب منها أن تستغفر الله على ما همت به وقال

﴿ واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ آية (٢٩) سورة يوسف.

ولكن كيف لمثل هذا الحدث يُكتم خبره وقد علم جميع أهل البيت به؟!... فما هي إلاّ أيام حتى كان خبر إمرأة العزيز مع يوسف حديث أهل المدينة... وراحت نساء المدينة يسخرن مما كان ﴿ وقال نسوة في المدينة إمرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبّاً إنا لنراها في ضلال مبين ﴾ آية (٢٩) سورة يوسف.. .وضاقت إمرأة العزيز بما يقال، فأرادت أن تُري من سخّرن منها جمال يوسف ونضارته.. فأعدت لهن مجلساً وجاءت إليهن بطعام ووضعت أمام كل واحدة منهن سكينا... وانتظرت حتى أمسكت كل واحدة منهن بسكين وأخرجت يوسف عليهن ﴿ ... فلما رأينه وأكبرنه... ﴾ لم تدر أي منهن بما في يديها... ﴿ وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشر إن هذا إلاّ ملك كريم ﴾... وراحت إمرأة العزيز تسخر من النسوة اللاتي سخرن منها من قبل... وراحت تفضح عمّا في صدرها من وسوسة الشيطان ﴿ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجن وليكونا من الصاغرين ﴾... ورأى يوسف مكر النسوة حوله وقد أجمعن على الفاحشة، فراح يدعو

ربّه ويستجير به لينجيه مما أصبح فيه من بلاء ﴿ قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلاّ تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين. فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾ آية (٣٤) يوسف.

هذا ما بينه الله لنا عمّا كان من إمرأة العزيز مع نبي الله « يوسف » وأمانته وإنه لم يخنه ولم يكن من الفاحشين... فقالت أن عزيز مصر صدّق ما قالته إمرأته وما لحقت به يوسف، فغضب عليه وسجنه. (١)

وصرف الله كيد النسوة عن نبيه « يوسف ».. وذاع في القصرما كان للنسوة اللاتي قطعن أيديهن... ورأى عزيز مصر آيات الله وأمانة يوسف... فأراد أن يطفي الفتنة ويبقي يوسف بعيداً حتىٰ ينسى الناس ما كان... فلم يجد أمامه إلاّ السجن... ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ﴾ آية (٣٥) يوسف.

وكان لله حكمة في أن يدخل يوسف السجن إلى حين قُدّر له.. فدخل يوسف السجن منتظراً أمر ربّه وقدره وراح يدعو من فيه إلى « دين الله » ويعلمهم مما علمه

---

(١) تكوين: ٣٩: ٢٠.

الله. . . «ودخل معه السجن فتيان. . .» كانا على غيز دين الله ـ. . . أرى الله كل منهما في منامه رؤ يا أزعجته، فأصبح كل منهما يخبر أخاه بما رآه. . . ﴿ . . . قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه. . . ﴾ وإحتار الفتيان في تأويل ما أراهما الله حتى جاءا إلى يوسف وقالا له ﴿ . . . نبئنا بتـأويله إنا نـراك من المحسنـين ﴾ آية (٣٦) سورة يوسف.

وأراد « يوسف » أن يعلمهما أن ما به من نعم فمن الله ربّه ورب آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم إله واحد لا شريك له. وأن ما يُعبد من دونه لا يملك ضرّاً ولا نفعاً وأن الله هو عالم الغيب والشهادة فلا يُظهر على غيبه أحداً إلّا من أرتضى. . . فتطلّع إليهما و﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلّا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون. واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. يا صاحبّي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهّار. ما تعبدون من دونه إلّا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها

من سلطان إن الحكم إلاّ لله أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ آية (٤٠) سورة يوسف.

ومكث « يوسف » معهما غير قليل يبينّ لهم دين الله ثم راح يبينّ لهما تأويل ما أراهما الله وقال **﴿ يا صاحبيّ السجن أما أحدكما فيسقي ربّه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾** آية (٤١) سورة يوسف.

وظن يوسف أن قدر ربّه قد آن بخروجه من السجن... فدعا ربّه **﴿ وقال للذي ظن إنه ناج منهما أذكرني عند ربّك... ﴾**.. وكان ما قاله يوسف للرجلين فصُلب أحدهما ونجى الآخر وراح يخدم في قصر الملك يسقي ربّه خمراً... ولم يكن قدر يوسف قد آن ليخرج من السجن فراح الشيطان فوسوس للذي نجا منهما ﴿ ... **فأنساه الشيطان ذكر ربّه فلبث =يوسف= في السجن بضع سنين ﴾** آية (٤٢) سورة يوسف.

وآن ليوسف أن يخرج من السجن ليملك مفاتيح الأرض ويكن له الخير الذي أراه الله في منامه حين كان في حضن أبيه « يعقوب » منذ سنين طويلة... فأرى الله

الملكَ في منامه رؤيا أزعجته، فراح لمن حوله ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا أيها الملأ إفتوني في رءياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾.... فتعجب الملأ من حوله.. ﴿ قالوا أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ آية (٤٤) سورة يوسف.

فأنطق الله صاحب السجن الذي نجا وعمل عند الملك وتذكّر يوسف وما قاله له وكان... ﴿ قال الذي نجا منهما وأدكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ﴾.... ثم تركهم وذهب إلى السجن حيث يوسف وراح يقصّ عليه رؤيا الملك ثم قال له ﴿ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلّي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾ آية (٤٦) سورة يوسف.

وراح يوسف بما علمه الله، يؤّل رؤيا الملك وقال إنه سيكون على البلاد سبع سنين يكثر فيها الخير ثم يأتي من بعدها سبع سنين عجاف لا زرع فيها ولا خير. فبُهت صاحب السجن وزعج فراح يوسف يخفف عنه ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلاّ

قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلاّ قليلاً مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ من آية (٤٧) سورة يوسف.

وأسرع صاحب السجن إلى الملك يقول له بما قاله يـوسف فبهت الملك ﴿ وقال الملك ائتوني بـه... ﴾ فأسرع رسول الملك إلى يوسف ﴿ ... فلما جاءه الرسول قال إرجع إلى ربّك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ﴾ آية (٥٠) سورة يوسف.

وأبى نبي الله « يوسف » أن يخرج من السجن إلاّ أن يذاع على الملأ براءته وأمانته مما لحق به منذ سنين... وراح الملك وأمر بالنسوة فحضرن ﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء... ﴾ فجيء بإمرأة العزيز، فرأت إنه لا مناص من إظهار الحق... ﴿قالت إمرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ آية (٥١) سورة يوسف.

وإزداد الملك حبّاً وإعجاباً بـ « يوسف » الذي أبى أن يأتيه إلاّ من بعد أن يعلم الناس براءته وأمانته.. ﴿وقال الملك أئتوني به أستخلصه لنفسي... ﴾ وجاء يوسف وراح

الملك يجادله في «أمره.. وراح يوسف يبينّ للملك «دين الله» الذي هو عليه وشرح الله صدر الملك للإيمان وهو ينظر صدق القول في كلمات يوسف ﴿... فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ آية (٥٤) سورة يوسف.

ودخل الإيمان في قلب الملك بما دعاه إليه يوسف من دين الحق فأرتضى يوسف أن يعينه على ما سوف يبتلي به الله البلاد ﴿قال إجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾... وتولى يوسف وزارة مصر وتملّك مفاتيح الأرض وصدق الله وعده ومن أوفى بعهده من الله ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين. ولأجرالآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ آية (٥٧) سورة يوسف.

كان ملك مصر أي منبته من الهكسوس، ملوك الراة من «بني عابر» قوم نبي الله «إبراهيم» وكان من سلالة ملوك مصر الهكسوسي الذين رحّب بقدوم نبي الله إبراهيم حين جاء إلى مصر يدعو قومه من «بني عابر» إلى دين الله، فأكرمه وأهدى إليه «هاجر» التي إتخذها زوجاً ورزقه الله منها «إسماعيل» بكره... وكان في مصر كثير من

المؤمنين المسلمين الذين كانوا على دين الله الذي دعاهم إليه خليل الله إبراهيم حين أتاهم.. وقيل فيما قيل عن يوسف إنه بعد أن خرج من السجن وتولى أمر البلاد تزوج سن إبنة كاهن أون يقال لها «أسنات بنت فوطيفارع»[1]... وقد كانت على «دين الله» الإسلام فما كان لنبي الله «يوسف» أن يتزوجها إلّا وهي «مسلمة».. وما كان لنبي الله «يوسف» أن يرتضي إدارة البلاد ومَن يملك عليها على دين غير الإسلام....

وتولى يوسف أمانة البلاد وراح يعدّ كل ما فيها طوال السبع سنين الخير ليجتاز بخيرها السنين العجاف... وراح يوسف في سنين الجوع يوزع الغلال والقوت على أهل البلاد... وكان الجوع قد عمّ بلاد كثيرة حتى بلغ شرق مصر حيث كان يعقوب وبنيه.

«يوسف» وإخوته:

وآن قدر الله ليلتقي نبي الله «يوسف» بإخوته... فأستأذن الإخوة أباهم يعقوب أن يأتوا مصر ليبتاعوا من غلالها وقوتها ما يعينهم على ما هم فيه... ﴿ وجاء إخوة

---

(١) تكوين: ٤١: ١٥.

يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾ آية (٥٨) سورة يوسف.

وراح « يوسف » ينظر إليهم وإشتاقت عيناه لـرؤية أخيه الأصغر إبن أمّه وأبيه... فراح يجادلهم ويسألهم عن حالهم حتى قالوا له أنهم إخوة إثنى عشر لرجل واحد تركواأخاهم الأصغر عند أبيهم وفقدوا أخاهم الذي يكبره منذ سنين.... ﴿ ولما جهزهم بجهازهم قال أئتوني بأخٍ لكم من أبيكم ألا ترون إني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين. فإن لم تأتوني به = وكنتم كاذبين = فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ﴾ آية (٥٩) سورة يوسف.

ورأى الإخوة صدق قول يوسف وإنه لن يبيعهم بعد ذلك إلّا إذا أحضروا معهم أخاهم الأصغر. وكانوا يعلمون أنهم حاضرون مرة أخرى أو ربما مرات لشراء الغلال والقوت حتى تنتهي المجاعة... فتشاوروا فيما بينهم ﴿ قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون ﴾ آية (٦١) يوسف.

وطمع «يوسف» أن يعجّل بعودتهم قبل أن ينتهي القوت الذي إشتروه منه لديهم.. فتحايل بأمر الله.... ﴿ وقال لفتيانه إجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلم يعرفونها

إذا إنقلبوا إلى أهلهم لعلّهم يرجعون ﴾ آية (٦٢) يوسف.

كان « يوسف » يعلم أن أباه حين يرى بضاعتهم التي جاءوا بها لشراء الغلال والقوت، قد ردت إليهم، لن يقبلها وسوف يأمرهم بالعودة إلى مصر ليردوها إليه. فيضطروا إلى إحضار أخيهم معهم حتى يسمح لهم بدخول المدينة.

وعاد الإخوةُ العشرة إلى أبيهم وراحوا يقصّون عليه كرم « يوسف » وحسن ضيافته إلى أن ذكروا له ما كان من طلب يوسف بإحضار أخيهم الأصغر إن هم عادوا إلى مصر......

.... وتذكّر يعقوب ما كان منهم لإبنه يوسف **﴿ قال هل آمنكم عليه الاّ كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾** آية (٦٤) سورة يوسف.

وراح الإخوة يفتحون متاعهم.... **﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم = التي أخذوها معهم ثمناً للغلال والقوت = ردّت إليهم.... ﴾**

.... فذهلوا ورجعوا إلى أبيهم **﴿ .... قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردّت إلينا... ﴾** فغضب

« يعقوب » وكان منه ما إرتآه « يوسف » حين أمر بـرّد بضاعتهم إليهم... وأمر « يعقوب » بنيه أن يعودوا إلى مصر لرّد البضاعة إلى مستحقيها، فذكروا له طلب يوسف بإحضار أخيهم الأصغر. وخاف « يعقوب » على إبنه الأصغر منهم، فراح الأخوة يطمئنونه ويزيّنون لـه إرسال أخيهم معهم ويأخذ كل منهم بضاعة أخرى معه ليشتروا بها قوتاً وغلالاً غير التي جاءوا بها... ﴿ **قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردّت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير** ﴾ آية (٦٥) سورة يوسف.

وبقي « يعقوب » في خوفه على إبنه الأصغر.. وتمسّك الإخوة بعدم العودة إلى مصر إلاّ بصحبة أخيهم... ففوض « يعقوب » أمره لله ﴿ **قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنّني به إلاّ أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل** ﴾.... وراح يتحسس بنيه الأحد عشر وكأنّه يراهم ﴿ **وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلاّ لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون** ﴾ آية (٦٧) سورة يوسف.

وجاء الإخوة إلى مصر ﴿ ولما دخلوا على يوسف اوى إليه أخاه = الأصغر = قال إني أنا أخوك = يوسف = فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ آية (٦٩) سورة يوسف. . . وراح يوسف فأمر بإعطائهم الغلال والقوت. . وراح يتحايل مرة أخرى بأمر ربّه ليحجز أخاه الأصغر معه في مصر. . . ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه = الأصغر = . . .﴾. . . وإنطلقت عير «بني يعقوب» حتى وصلت أبواب المدينة، فأرسل «يوسف» من حراسه من يلحق بهم ليعيدهم إليه ﴿. . . ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون. قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون. قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وُجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين﴾ آية (٧٠) سورة يوسف.

وجيء ببني «يعقوب» إلى أخيهم يوسف وراح الحرس يفتشون متاعهم فأمر ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم إستخرجها من وعاء أخيه. . . . ﴾ فبهت إخوة « يوسف » ثم تملّك بعضهم حقد عليه وعلى أخيه. . . ﴿قالوا أن يسرق فقد

سرق أخ له من قبل = يعنون يوسف = فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال (في نفسه). أنتم شرّ مكاناً والله أعلم بما تصفون﴾ آية (٧٧) يوسف.

وعاد الإخوة إلى أنفسهم وتذكروا عهدهم مع الله أمام أبيهم ليردّوا إليه أخاهم الأصغر... فراحوا يلتمسون كرم يوسف... ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين. قال معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده إنا = إن فعلنا ذلك = إذاً لظالمون﴾ آية (٧٩) يوسف.

ورأى الإخوة إصرار يوسف على أخذ أخيه... ﴿فلما إستيئسوا منه خلصوا نجيّاً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. إرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن إبنك سرق وما شهدنا إلاّ بما علمنا وما كنا للغيب حافظين. وسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ آية (٨٢) سورة يوسف.

وبقي الأخ الأكبر في مصر إلى جوار يوسف وهو لا يعلمه وإلى جوار أخيه الأصغر... ورحل الإخوة التسعة

الباقون إلى أبيهم يعقوب ليخبروه بما قال لهم أخوهم الأكبر....

وهكذا صوّر لنا الله في محكم آياته ما كان بين « يوسف » وإخوته حين جاءوا إليه وهو وزير مصر ليشتروا منه الغلال والقوت في سنين المجاعة... ولكن ما كان ذكر يهود لما كان بين يوسف وإخوته؟.... قالوا عن نبي الله « يوسف » حين أرادهم أن يأتوا بأخيه معهم إنه أقسم بحياة فرعون أنه لن يطلقهم حتى يأتوا بأخيه الأصغر (١) .... ثم رضي يوسف بعد ذلك أن يُمسك بواحد منهم يقال له « شمعون » عنده وأطلق الباقين ليأتوا إليه بأخيه (٢) ..... وإن « يعقوب » إرتضى أن يأخذ فضته التي أعادها إليهم « يوسف » من بعد أن دفعوها ثمناً لما شروه... وإنه لم يطلب من بنيه العودة إلى مصر إلاّ من بعد أن فرغوا من أكل الغلال التي أحضروها... (٣) .... وقالوا إن الذي تزعم الإخوة في الحديث مع أبيه ليرسل معهم أخاهم الأصغر كان « يهوذا » الإبن الرابع ولم يكن الإبن الأكبر.... (٤) .... وإن يهوذا هو

---

(١) تكوين: ٤٢: ١٥.

(٢) تكوين: ٤٢: ٢٤.

(٣) تكوين: ٤٣: ٢.

(٤) تكوين: ٤٣: ٣.

الذي كان يكلم «يـوسف» عن إخوتـه ولم يكن الإبن الأكبر ليعقوب...(١) ... وأن «يـوسف» حين كلمـه يهوذا من إطلاق أخيه لم يستطع إلا أن يفضح نفسه وراح يبكي ويقبّل إخوتـه...(٢) .... وهكذا صـورت يهود القصة فصورت «يوسف» وهو نبي الله يستقسم «بحياة فرعون»؟!.. صوّرت يوسف وقد أمسك بأخ له عنده نظير إحضار أخيه.. وهذا كذب.. لشراء الغلال ولولا جوعه مرة أخرى من بعد أن فرغت الغلال ما أرسـل الفضة إلى يوسف التي أخذها بغير حق وهذا بهتان وكذب وإفتراء على الله ونبيّه يعقوب. وصورت أن الذي يتزعم الإخوة هو يهوذا جدهم الأكبر....وهذا كذب فالذي بينه لنا القرآن أن الإبن الأكبر هو الذي كان يتحدّث بإسم «بني يعقـوب»(٣) .... وقالت يهـود إن يوسف حين حدّثه «يهوذا» عن إطلاق أخيه الأصغر، لم يستطع إلاّ أن يبوح ويكشف عن نفسه له... وهذا كذب فقد بيّن لنا الله أن يوسف لم يفضح لإخوته عن نفسه إلاّ بعد أن ذهب الأخوة التسعة إلى أبيهم وبقي الأكبر عند يوسف

---

(١) تكوين: ٤٤: ١٤.

(٢) تكوين: ٤٥: ١.

(٣) سورة يوسف آية (٨٠).

وأخيه في مصر ثم عادالتسعة يلتمسون عفو يوسف فرقّ قلبه وآن له من الله أن يبيّن لهم ما كانوا فيه من ضلال (١).

رحيل « يعقوب » إلى مصر:

وأقبل الأخوة على أبيهم « يعقوب » وقالوا له ما قاله أخوهم الأكبر... وكان يعقوب يعلم من الله بـأن الله سوف يجمعه وأولاده أجمعين... فراح يقلب بصـره في السماء كأنّه يرى الغيب ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم. وتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم. قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين. قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ من آية (٨٣) سورة يوسف.

ونزلت رحمة الله على « يعقوب » وعلم من ربّه أنه قد آن له رؤية يوسف... فإلتفت إلى بنيه التسعة وقال ﴿ يا بني إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تايئسوا من

---

(١) سورة يوسف آية (٨٩).

روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾. . . آية (٨٧) سورة يوسف.

وتعجب الإخوة من كلام أبيهم وكيف لهم أن يلتقوا بيوسف وقد فقدوه منذ سنين طويلة. . . فألّح عليهم أبوهم أن يعودوا إلى مصر ويبحثوا عن يوسف، فعادوا. . وجاءوا إلى يوسف وهم لا يعرفونه. . . ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إن الله يجزي المتصدقين ﴾ آية (٨٨) يوسف.

وآن لنبي الله « يوسف » من ربّه أن يكشف عن نفسه لإخوته. . فتطلّع لهم و﴿ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ﴾. . . فكشف الله عن أبصارهم. . . ﴿ قالوا اءنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ فرجع الإخوة إلى أنفسهم وعرفوا ما كانوا فيه من ضلالة. . . ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾ فرّق يوسف لهم ﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ . . . وتذكر يوسف أباه فجاء بقميصه الذي كان عليه حين كان مع أبيه

وقال لأخوته: ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت =بإذن الله = بصيراً وآتوني بأهلكم أجمعين﴾ من آية (٩٠) سورة يوسف.

ولم يصدق الإخوة ما أصبحوا فيه وأسرعوا عائدين إلى أبيهم... ﴿ ولما فصلت العير = التي ركبوها من مصر وهي في طريقها إلى أبيهم، فقلت الريح ريحَ يوسف التي في قميصه إلى حيث أبيه فعرفها فتلّفت الشيخ لمن حوله و = قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تُفَنِدون﴾... فتعجب الذين حوله ﴿ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾... من آية (٩٤) سورة يوسف.

واستبق الأخ الأكبر إخوته وجاء يبشّر أباه بـ « يوسف » وهو يحمل قميصه.. ﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فأرتّد بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾..

... فارتمى الإخوة تحت قدميه ﴿ قالوا يا أبانا إستغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين. قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ من آية (٩٦) سورة يوسف.

وراح « يعقوب » يعدّ نفسه وبنوه ليرحلوا إلى

« يوسف » في مصر. . وراح « يوسف » يعد نفسه للقاء أبيه بعد غيبة طال مداها منذ سنين عديدة. . . وجاء يعقوب وبنوه إلى مصر ﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال إدخلوا مصر إن شاء الله آمنين. ورفع أبويه على العرش وخروا له سُجّدا قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾ من آية (١٠٠) سورة يوسف.

وخرّ نبي الله « يوسف » ساجداً لربّه يحمده على ما أنعم عليه وعلى أهله من فضل وكرم. . وراح يدعو ربه ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين. ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ من آية (١٠١) سورة يوسف.

وبقي « يعقوب » إلى جوار إبنه « يوسف » وزير مصر الأول، مكرماً من ملك مصر الذي ملأ قلبه الإيمان منذ أن كلمه « يوسف » أول مرة حين خرج إليه من

السجن. . . وعاش « بنو يعقوب » في أرض مصر مكرمين معـززين ومنعمّـين من خيـرهـا ونعيمهـا وطمئن الله « إسرائيل » على بنيه من بعد أن نزغ الشيطان بينهم وآن أن يُقبض « يعقوب » فراح يجمع بنيه يوصيهم بدين الله والتمسك به وألاّ يموتوا إلاّ على دين الإسلام. . . ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقـوب الموت إذ قـال لبنيه مـا تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله أبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ آية (١٣٣) سورة البقرة.

وهكـذا بـينّ الله لنـا مـا أراد أن يبيّنـه من حيـاة « يعقوب » وبنيه. . . وبينّ لنا أن « يعقوب » و« يوسف » وإخوته كانوا على دين الله « الإسلام » ولم يكونوا على دين يهود ولا على دين نصارى. . . وإن آخر كلمات نبي الله يعقوب « إسرائيل » وهو على فراش الموت، كانت وصايته لبنيه بالتمسك بدين « الإسلام » دين الله الذي بُعث به الأنبياء من قبل. . . . . هذا ما بينه الله لنا. . . ولكن ما كان قول يهود ونصارى عن وصية يعقوب لبنيه؟!. . كتبت يهـود بني إسـرائيـل ونصـارتهم عن نبي الله إسـرائيـل « يعقوب » إنه وعلى فراش الموت، راح يعاتب أولاده عما كان منهم في حياته. . . راح يعاتب ولده الأكبر لأنه زنى

بـ« بلهـة » سريـة أبيه(١) . . . وراح يعـاتب شمعـون ولاوي» ولـديـه الثـاني والثلث، لأنهما قتـلا «بني شكيم »(٢) . . ثم راح يكرم الإبن الرابع « يهوذا » جد يهود بني إسرائيل ونصارتهم، ويقول له. . . ﴿ يهوذا شبل أسد. . . يهوذا إيَّاك يحمدك إخوتك. . . يدك على قذل أعدائك. . . يسجد لك بنو أبيك. . لا يزول صولجان من يهوذا. . . ﴾(٣) . . . وقالوا أن « يعقوب » قال لبنيه أن الله قد ظهر له وهو في أرض كنعان وقال له: ها أنا أنميك وأكثرك وأجعلك جمهور شعوب وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك مُلكاً أبدّيا. . . وبهذا يكون « وعد الله » الذي زعموابه بإمتلاك « أرض الميعاد » من بعد أن كان لـ« بني إبراهيم » ثم قصر ذلك على « بني إسحاق »، أصبح كما زعمـوا في تلك الأيام، محصوراً على « بني يعقـوب »؟!. . . . وراح « يعقـوب » كـما تقـول يهـود ونصارى، يوزع هذه الأرض « أرض الميعاد » التي وعده الله له ولبنيه خاصة، على أولاده قبل موته (٤) ويحدد لكل سبط نصيبه منها.

---

(١) تكوين: ٣٥: ٢٢، تكوين: ٤٩: ٤. (٣) تكوين: ٤٩: ٨ وما بعدها.
(٢) تكوين: ٣٤: ٢٥. (٤) تكوين: ٤٨: ٤.

وهكذا صوّرت يهود ونصارى « بني إسرائيل »، نبي الله « إسرائيل » حين موته وكأنّه لم يكن له شاغل إلّا الدنيا وما فيها... وإنه أوصى بنيه جميعاً بما فيهم نبي الله « يوسف »، بإطاعة « يهوذا » إبنه الرابع دون غيره من الأبناء.. وعلى « بني إسرائيل » جميعاً أن يسجدوا لـ (بني يهوذا) (١) وهم يهود ونصارى « بني إسرائيل » ويسلموا لهم الصولجان والكهانة مدى الحياة. (٢).

* * *

« بنو يعقوب » أو « بنو إسرائيل »:

وعاش نبي الله « يوسف » من بعد أبيه سنين عديدة، راح يدعو فيها قومه من « بني عابر » حكام مصر في تلك السنين، إلى دين الله وراح يوصي إخوته بالتمسك بدين الله الذي أوصاهم به أبوهم قبل موته.. وعاش « بني إسرائيل » في شرق دلتا النيل وتكاثروا وتناسلوا في ظل سلطان أخيهم « يوسف » وتحت رعاية ملك مصر

---

(١) تكوين: ٤٩: ٨.

(٢) تكوين: ٤٩: ١٠.

الهكسوسي الذي كان على « الإسلام » دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من قبل.

ومرت السنون، وتوالت ومات نبي الله « يوسف » ومات إخوته وتكاثرت الذرايات وإنتشرت في شرق نيل مصر... وازدادت ذرية « بني إسرائيل » وأصبح لكل سبط من « الأسباط » الإثني عشر شاغل يشغله وكان همّ « بني يهوذا » اليهود التجارة والمال.... وتناسي الأبناء وما وصّاهم به الآباء ونسي « بنو إسرائيل » دين الله إلاّ القليل وكان أكثرهم فساداً في الأرض اليهود « بنو يهوذا » الذي كان له ما كان مع نبي الله « يوسف » وأراد هلاكه وحرضّ إخوته عليه فأنقذه الله منهم.

وكان ملوك مصر في هذه القرون من « الهكسوس » وهم ملوك الرعاة من « بني عابر » قوم إبراهيم الذين دخلوا في دين الله « الإسلام ». الذي دعاهم إليه نبي الله « إبراهيم » حين جاء إليهم وهم الذين أكرموا نبي الله « يوسف » حين تبينّ لهم نبوّته وأمانته وصدقه.. وأكرموا نبي الله « يعقوب » حين حضر إليهم حتى مات عندهم... وكان نبي الله «يوسف» يتولى أمانة البلاد في عهدهم حتى مات تاركاً تحت رعايتهم أهله « بني

إسـرائيل » الـذين حضروا إليهم مـع أبيهم « يعقـوب » فأكرموهم وأقاموهم بأرض مصر في شرق دلتا النيل. وظل حكم الهكسوس على مصر قروناً من بعد ذلك الملك الذي أكرم نبيّي الله يعقوب ويوسف حتى جاء « فرعون موسى » وكان آخرهم (١) ومن بعده ضعف سلطان الهكسوس في مصر وجاء « أحمس » مؤسس الأسرة الثانية عشر [حوالي ١٧٠٠ ق.م] وإستولى على حكم مصر وطرد ما بقي من الكسوس.

قول يهود ونصارى:

وتقول يهود ونصارى إن «بني إسرائيل» بلغوا في أواخر أيام الهكسوس قرب زمان نبي الله «موسى» من الأنفس الكثير... فكان عدد الرجال من إبن عشرين سنة فصاعداً من «بني رأوين» أكبر أولاد يعقوب، ٤٦,٥٠٠ رجلاً... ومن سبط «شمعون» ٥٩,٣٠٠ رجلاً... ومن سبط «جاد» ٤٥,٤٥٠ رجلاً... ومن سبط «يهوذا» ٧٤,٦٠٠ رجلاً... ومن سبط «بساكر» ٥٤,٤٠٠ رجلاً... ومن سبط «زبولون» ٥٧,٤٠٠ رجلاً... ومن

---

(١) الطبري ـ دار المعارف ـ جزء أول صفحة ٢٨٩، العرب قبل الإسلام جرجي زيدان جزء أول صفحة ٥٣.

سبط «يوسف» من بني إفرائيم إبنه، ٤٠,٥٠٠ رجلاً.. . ومن سب(«منس» ٣٢,٢٠٠ رجلاً.. ومن سبط «بنامين» ٣٥,٤٠٠ رجلاً... ومن سبط «دان» ٦٢,٧٠٠ رجلاً... ومن سبط «تفتالي» ٥٣,٤٠٠ رجلاً.. فكان جميع رجال بني إسرائيل كما تقول يهود ونصارى، غير «بني اللاويين» منهم، ستة مئة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون [1]... أما «اللاويون» «بنو لاوي» ثالث أولاد «يعقوب» فيقول يهود ونصارى إنهم كانوا مخصصين لخدمة الكهانة لا يحاربون وكان عددهم في زمان موسى ٢٢,٠٠٠ رجلاً [2].

وعلى هذا يكون عدد الرجال فقط من «بني إسرائيل» على زمان نبي الله موسى كان ٦٢٥,٥٥٠ رجلاً [ستمائة وخمسة وعشرون ألف وخمسمائة وخمسون رجلاً]... كما قالت يهود ونصارى... والواضح أن هذا العدد مبالغ فيه الكثير.. فعدد «بني إسرائيل» الذين جاءوا إلى مصر بصحبة نبي الله «يعقوب» في آخر حياته كما قالت يهود

(١) سفر العدد: ١: ١٩ ـ ٤٦.

(٢) سفر العدد: ٣: ٣٩.

ونصارى، كانوا ٧٠ سبعين نسمة [1] رجل وإمرأة وأن الفترة التي كانت من بعد موت «يعقوب» حتى مبعث نبي الله «موسى» كما يقولون، لا تزيد عن خمسة قرون أو قد تقل [2].

... فهل يُعقل أنه خلال خمسة قرون يتوالى سبعون نسمة ليصبح ذرّيتهم من الرجال فقط غير النساء والفتيات والفتية والأطفال، ٦٢٥,٥٥٠ رجلاً؟!... وإن كان عدد «بني إسرائيل» وحدهم في زمان موسى من رجال وولدان وفتيات ونساء، يقارب المليون والنصف فما بال عدد المصريين أصحاب البلاد؟!... إن التاريخ يبيّن لنا مدى المبالغة التي قالت بها يهود ونصارى عن عدد بني إسرائيل في ذلك الزمان.. فعدد سكان مصر مثلاً في زمان الرومان عند فتح مصر في عهد الفاروق عمر بن الخطاب، كان حوالي أربعة ملايين نسمة وجاء إليها الكثير من المسلمين بعد ذلك... فإلى مدى تكاثر المصريون خلال ألف وربعمائة عام منذ فتح مصر عام ٢١ هجرية حتى زماننا

---

(١) سفر الخروج: ١: ٥.

(٢) يقول المؤرخون أن زمان نبي الله يعقوب كان حوالي القرن ٢١ ق. م وآخر عهد الهكسوس في مصر أي زمان موسى، كان حوالي القرن ١٧ ق. م.

هذا الذي نعيشه (١٤٠٠ هـ)؟... لقد بلغ تعداد المصريين الأن ما يقارب ٤٠ مليون نسمة... أي أن تعداد المصريين زاد خلال ١٤٠٠ عام من ٤ مليون نسمة غير المسلمين الذين وفدوا إلى مصر، إلى ٤٠ مليون نسمة فقط وهذا هو التكاثر الطبيعي للشعوب... فهل يُعقل أن يزداد تعداد «بني إسرائيل» خلال خمسمائة عام من ٧٠ نسمة إلى ١,٣٠٠,٠٠٠ مليون وثلاثمائة ألف نسمة، أي بما يزيد عن عشرين ألف ضعف في حين كانت الزيادة في تعداد مصر لا تزيد عن عشرة أضعاف خلال ١٤٠٠ عام (منذ فتح مصر حتى الآن)؟!... إن العدد الذي ذكرته يهود ونصارى عن تعداد «بني إسرائيل» في تلك الأيام، دون شك مبالغ فيه الكثير وهذه هي سمات يهود في ذكر تاريخهم منذ أن بداؤا يكتبون هذا التاريخ وهم في «أسر بابل».

* * *

فساد « بني إسرائيل »:

وأكثر الله ذرية « إسرائيل » نبي الله « يعقوب » وبلغوا ما بلغوا من عدد في مصر، وراح « بني يهوذا » يهود « بني إسرائيل » يعيثون في الأرض الفساد ويزينون للناس من

حولهم الحياة الدنيا وزينتها وما أصبحوا فيه من خير في مصر بين جناتها ونعيمها وكرم أهلها [1]... ونسوا ما أوصاهم به «أبوهم إسرائيل» قبل موته بالتمسك بدين الله وألّا يموتون إلّا وهم مسلمون [2].... وكثر فساد يهود في أرض مصر وضاق بهم المؤمنون من «بني إسرائيل» ومن أهل مصر... وراح أهل مصر يشكون يهود وعملهم إلى فرعونهم.. وكان فرعون مصر في تلك الأيام من سلالة الهكسوس «بني عابر» أولاد عم «بني إسرائيل» وكان هو الآخر قد زين الشيطان له ما فيه من مُلك، فتكبّر على الله ونسي ربّه الذي خلقه.. ونسي دعوة الله التي دُعي إليها أجداده حين أتاهم أنبياء الله إبراهيم ويعقوب ويوسف.

---

(١) كانت مصر على مدى الدهر مطمع يهود وخيرها عندهم كجنة الله. فقد كتبوا بأيديهم بأن نبي الله «إبراهيم» نافس هو ونبي الله «لوط» على إمتلاك الأرض، فقال إبراهيم لإبن أخيه «لوط» لا تكن خصومة بيني وبينك ولا بين رعاتي ورعاتك إنما نحن رجلان إخوان. أليست الأرض كلها بين يديك إعتزل عني إمّا إلى الشمال فأتيامن عنك وإمّا إلى اليمين فأتياسر. فرفع لوط طرفه ورأى كل بقعة الأردن فإذا جميعها سُقي قبل أن دمّر الرب سدوم وعمورة، كجنة الرب مثل أرض مصر... [تكوين: ١٣: ١٠]

(٢) سورة البقرة آية (١٣٣).

والمتدبّر لآيات الله الحكيمة يعلم أنه كان من أهل مصر في تلك الأيام ومن أهل فرعون ذاته، من كان على دين الله « الإسلام » ومنهم من جهر بإيمانه ومنهم من كتم مفوضّاً أمره لله على خوف من فرعون وطغيانه. . . . فقد ضرب الله لنا مثلاً للمؤمنات اللآتي كن تحت إناس كفرة، إمرأة فرعون فالله يقول ﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا إمرأتِ فرعون إذ قالت رب إبنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجنّي من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ آية (١١) سورة التحريم.

وبيّن الله في محكم آياته حديث ذلك الرجل المؤمن الذي كان من أهل فرعون وهو يجادل فرعون وزمرته حين راحوا يكيدون لنبي الله موسى من بعد أن أراهم الله آياته. . فالله يقول ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أنه يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾. . . ﴿ وقال الـذي آمـن يا قـوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب. مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد. ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد. يوم تولّون مدبرين ما

لكم من الله عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد. ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ من آية (٢٨) سورة غافر.

فهذا المؤمن الذي ذكره الله في قرآنه، كان على دين الله الذي جاء به أنبياء الله إبراهيم ويعقوب ويوسف إلى مصر... وكان مؤمناً بالله وكتبه ورسله الذين بُعثوا من قبل «موسى»... فراح يذكّر فرعون وزمرته بما دعى به نبي الله «يوسف». آخر رسل الله إليهم قبل «موسى»، من دين الحق.... وسحرة فرعون أنفسهم كانوا يعلمون أن الله حق وأن الإسلام هو دين الله ولكن إغراء فرعون لهم تارة وإكراههم تارة أخرى جعلهم يستمرون فيما هم فيه من سحر ليتقوا طغيانه حتى جاءتهم البينات التي جاء بها نبي الله «موسى»، فأظهروا إيمانهم بالله وبدين الله «الإسلام» ووقفوا وقفة رجل مؤمن أمام جبروت فرعون... **﴿فألقى السحرة سجّداً قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾**........ فتعالى فرعون **﴿قال ءآمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في**

جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى ﴾.... فلم يهب السحرة جبروت فرعون وراحوا يجهرون في وجهه بالحق ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فأقضِ ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا. إنّا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خيرٌ وأبقى ﴾... من آية (٦٩) سورة طه... ﴿ وما تنقم منا إلاّ أن آمنا بأيآت ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين ﴾ آية (١٢٦) الأعراف.

فقد كان في تلك الأيام من أهل مصر من يؤمن بالله واليوم الآخر وبرسل الله وكتبه التي أُنزلت من قبل.. وكان من « بني عابر » قوم إبراهيم « هكسوس » مصر كثير من المؤمنين ولم يكن الإيمان أيامئذ قاصراً على المسلمين من « بني إسرائيل » الذي تمسّكوا بما أوصاهم به « إسرائيل » « ويوسف »، وكرهوا كفر يهودهم وتركهم لما أمر به الله.

وكثر فساد يهود « بني إسرائيل » وضاق بهم المؤمنون... وضاق بهم أهل مصر فرفعوا أمرهم إلى فرعونهم الذي علا في البلاد، فراح فرعون مصر يسخّر يهود بني إسرائيل ويتعقّبهم في البلاد... وراح يهود يستجيرون بأولاد أعمامهم من « بني إسرائيل »، فأصاب

المؤمنين منهم بعض إيذاء فرعون وملائه. وطغى فرعون وآذى « بني إسرائيل » بما فعله سفهاؤهم من يهودهم « بني يهوذا »، فصرخ المؤمنون بدعائهم إلى الله لينقذهم من فرعون وملائه.

وكان قدر الله قد آن ببعث « موسى » لينجي المؤمنين من عذاب فرعون... وقيل فيما قيل أن فرعون أراه الله في منامه إن هلاكه سيكون ببعث نبي من « بني إسرائيل »، فراح وأمر بقتل كل ذكر يولد منهم ويستحي الإناث.

وحملت « أم موسى » بما قدّره الله لهلاك فرعون وجنده... وخافت « أم موسى » على ما في بطنها أن يكون ذكراً فيُهلك، فأخفت حملها عن عيون فرعون وجنوده.... ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم = وهم بني إسرائيل = يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين. ونريد أن نمنّ على = المؤمنين = الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون = بظهور نبي يكون في بعثه هلاك لفرعون وجنوده =

وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليّم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ من آية (٤) سورة القصص.

قالت يهود ونصارى « بني إسرائيل » إن نبي الله « موسى » كان أصغر أولاد أبيه وكان ثالث ثلاثة « مريم » البكر و« هارون » الثاني... وقد ذهب كثير من المفسرين المسلمين بهذا القول وقالوا كما قالت يهود ونصارى... وهذا فيه كثير من الشك... فالمتدبّر لآيات الله الحكيمة يرى أن]موسى« لم يكن شقيق هارون ومريم من الأب والأم... فلم تأت آية في القرآن تبيّن أن «موسى» كان إبن «عمران» أبي هارون ومريم.

.... وحين خاطب « هارون » أخاه « موسى » وهو في صحراء سيناء عندما أمسك به يجرّه إليه وقد تملّكه الغيظ مما صنعته يهودهم **﴿ قال إبن أم إن القوم إستضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾** آية (١٥٠) سورة الأعراف.... ومرة أخرى تذكر آيات الله هذا الخطاب الذي كان من « هارون » إلى « موسى » حين عبدت يهود

العجل في سيناء. فيقول الله تعالى.. ﴿ قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي ﴾ آية (٩٤) سورة طه.

... فلم يخاطب « هارون » نبي الله « موسى » إلا بقوله ﴿ يا ابن أم ﴾... فلو كان شقيقه من أبيه وأمه ما قال له بهذا القول...... وحين ذكر الله في كتابه حديث « آل عمران » مع إبنتهم « مريم بنت عمران» أم نبي الله « عيسى » حين جاءتهم بوليدها... ﴿ ... قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريًا. يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمّك بغيًا ﴾ آية (٢٨) سورة مريم.... فمريم بنت عمران، أم « عيسى بن مريم »، كانت وحيدة أبويها، لم يكن لها أخ يدعى « هارون ».... وقد رزق الله بها « عمران » وهو على الكبر ومات دون أن يراها، فكفلها « زكريا » نبي الله الذي تولى الإمامة من بعد « عمران »... وأنبتها الله نباتاً حسناً وأصطفاها وطهرها وجعلها من القانتين... فشبّت « مريم بنت عمران » على دين الله وتحت ظل نبي الله « زكريا » وكانت من المؤمنات القانتات الصالحات... فذكّرت أهلها بـ« مريم بنت عمران » شقيقة نبي الله « هارون بن عمران ».... فكان أهلها ينادوها « يا أخت هارون »... فلو كانت « مريم

بنت عمـران » أخت « هـارون بن عمـران »، شقيقـة «موسى» من أبيه وأمه... لكان أولى بأهل « مريم بنت عمران » أم نبي الله « عيسى بن مريم » أن يدعوها « يا أخـت مـوسى » و« مـوسى » أسبـق في النبـوة من « هارون »... وهكذا يبينّ لنا الله في محكم آياته أن نبي الله « مـوسى » كـان « إبن أم » لكـل من « مـريم » «هارون » ولم يكن أخاهما من الأم والأب كما قالت يهود ونصارى.

ولادة « موسى »:

وجـاء المخاض إلى « أم مـوسى » ووضعتـه وإزداد خوفها عليه، فراحت الملائكة تطمئنها بإذن ربها وترعاها ووليدها حتى جاء الأجل الذي قدره الله بأن يتربّى موسى في بيت « عدو الله » فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزناً....

ورأت « أم موسى » عيون « فرعون » وجنوده في كل مكان فأزداد خوفها على وليدها، فتذكرت أمر ربها فجعلته في سلّة وألقته في اليّم... فجرت به مياه النهر إلى قصر فرعون ﴿ فألتقطه آلَ فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾.... وأقبلت إمرأة فرعون ولم يكن لها ولد، فرأت نور وجه « موسى »،

فعرفته بقلبها المؤمن فقد كانت من المؤمنات الصالحات من الذين بقوا من « الهكسوس » على دين الله الذي دعاهم إليه أنبياء الله إبراهيم ويعقوب ويوسف.... وكانت مكرهة على الحياة مع فرعون وجبروته والله يقول عنها ﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا إمرأت فرعون إذ قالت رب إبن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ آية (١١) سورة التحريم

وأسرع « فرعون » يريد قتل « موسى » وقد تمثّل أمام عينيه هلاكه وزوال ملكه ببعث نبي من « بني إسرائيل ».. وجاء « هامان » ليأخذ « موسى » ويقتله... فراحت إمرأت فرعون تحتضن « موسى » وتبعد عنه الهلاك.. ﴿ وقالت إمرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون = بإيمانها = ﴾ آية (٩) سورة القصص.

﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين. وقالت لأخته قصية فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ﴾ آية (١٠) سورة القصص.

وراحت « إمرأة فرعون » تملأ عينيها من نور موسى..

وآن لله أن يرّد موسى لأمّه كي تقر عينها ولا تحزن... فبكى «موسى» يريد الرضاعة... فأسرعت «إمرأة فرعون» وأرسلت لمن يرضعه وأقبلت المرضعات كل منهن تريد إرضاء إمرأة فرعون... ولكن أبى «موسى» أن يقبل على صدر أي منهن وزاد من صراخه. وإحتارت «إمرأة فرعون» فيما تفعله. (١)

وانشق صدر مريم أخت «موسى» وهي تسمع صراخه فأقبلت نحوه وتطلّعت إلى وجه «إمرأة فرعون» ورأت فيه الأسى الذي خيّم عليها لحال موسى... فألهمها الله فتقدّمت ﴿... فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾... فأنتبهت «إمرأة فرعون» على قول «مريم» وتطلّعت إليها كأنّها تستغيث بها، فلم تصدق «مريم» عينيها فأسرعت إلى أمّها فدعتها

(١) قالت اليهود والنصارى أن التي إلتقطت «موسى» من النهر هي إبنة فرعون وليست إمرأته... وهذا كذب. وقالت النصارى في قاموس كتابهم المقدس صفحة ٩٣١ أن إبنة فرعون هي التي علمت موسى وأتت له بمن يعلمه «الدين» وهذا كذب على الله فما كان لنبي أن يأتي له العلم إلاّ من ربّه والله يقول عن موسى ﴿ولما بلغ أشدّه واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ آية (١٤) سورة القصص.

فجاءت واحتضنت « موسى » وألقمته ثديّها وأرتاح بـالها ﴿ فرددناه إلى أمّه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ آية (١٣) القصص.

نشأة « موسى »:

وكبر « موسى » وترعرع تحت ظّل الله وفي رعايته وبين أحضان أمه وأحضان إمرأة العزيز... وقضى سنين عمره الأولى بينّ قصر فرعون وبينّ أهله وقد عرف من أمّه أهله ونسبه... ويبقى « موسى » أيام طفولته وصباه يتعّرف من الصالحين المؤمنين من أهل فرعون ومن أهل بيته من « بني إسرائيل » على دين الله الذي بُعث به آباؤه إبـراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف من قبل... ولما بلغ أشدّه علمه الله من لدّنه حكماً وعلماً... ﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين ﴾ آية (١٤)سورة القصص.

وآن لله أن يخرج « موسى » مما هو فيه ويترك الحياة في قصر فرعون.. ويترك أهله ليعيش في كنف عبد من عباد الله الصالحين بعيداً عن مصر ليعّد نفسه لرسالة الله قبل أن يكلمه الله ويبشره بالنبوة.

وكان في قدر الله أن يقتل «موسى» أحد المصريين الكافرين ويكون من فعلته هذه سبباً لخروجه من مصر.. وجاء اليوم الذي قدر الله فيه أن يكون.. فخرج «موسى» من قصر فرعون... ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته (بني إسرائيل) وهذا من عدوّه (من الكفرة المصريين) فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه....﴾ ولم يكن موسى يريد قتل هذا الرجل المصري، فلما مات الرجل بين يديه، تنبّه «موسى» لفعلته... ﴿... قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾... وراح «موسى» يزجر هذا الذي من شيعته لما تسبب له... ثم راح يستغفر ربّه ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فأغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾... فتلقى موسى توبه الله عليه بحمده ﴿قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ من آية (١٥) سورة القصص.

وبات «موسى» ليلته مع ربّه يحمده ويتوب إليه... ويسأله النجاة من ذلك الغوي الذي من شيعته.... ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي إستنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين﴾..

ورأى « موسى » ذلك الغوي وقد أمسك برجل قومه ويريد من موسى أن يعينه عليه كما أعانه بالأمس.... فأسرع « موسى » يخلّص ذلك الرجل المؤمن من بين يديه، فأبى ذلك الغوي، فهمّ موسى ليبطش به حتى يخلّصه منه..
﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدّو لهما = ذلك الغوي = قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلاّ أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾.. من آية (١٨) سورة القصص.

وذاع في المدينة ما كان من « موسى » بالأمس، ونادى الناس بقتل موسى.. ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأخرج إني لك من الناصحين ﴾.. وراح موسى يأذن ربّه ليترك المدينة.. ﴿فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ من آية(٢٠) سورة القصص.

وخرج « موسى » بأمر ربّه وهداه إلى البلد التي قدر الله له فيها الحياة حتى يبعثه رسولاً إلى فرعون وملائه... وقادته رجلاه في ذلك الطريق الذي مشي فيه أنبياء الله « إدريس » وإبراهيم ويعقوب ويوسف من قبل حين جاء بهم الله إلى مصر، حتى قرب منازل أهل مدين.

﴿ ولما توّجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾. ... وراح موسى يتطلّع إلى رحمة ربّه بين أهل مدين ذرّية نبي الله « إبراهيم »... ﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم إمرأتين تذودان... ﴾ فألهمه الله فتوجّه إليهما... ﴿... قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاءُ وأبونا شيخ كبير = لا يستطيع أن يحضر ليسقي = فسقى لهما ثم تولى إلى الظّل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خيرٍ فقيرٍ ﴾ من آية (٢٢) سورة القصص.

وكانت الأمرأتـان إبنتي شيخ صـالح من عبـاد الله المخلصـين... قيل إنـه كـان نبي الله «شعيب» الـذي بُعث في أهل مدين... وقيل عنه غير ذلك.. الله أعلم به... وزوّد « موسى » إبنتي الشيخ الصالح بالماء فأسرعتا إلى أبيهما وأخبرتاه بما كان.. فرد الشيخ الصالح إحدى إبنتيه إلى موسى ليستضيفه عنده... ﴿فجاءته إحداهما تمشي على إستحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا...﴾ فأحّس « موسى » برحمة ربّه وراح إلى الشيخ الصالح... ﴿... فلما جاءه وقصّ عليه القصص = التي كانت له في مصر = قال لا تخف نجوت من القوم

الظالمين ﴾.. وأنطق الله إحدى البنتيـن... ﴿قالت إحداهما يـا أبت إستئجره انـه خير من إستئجـرت القـوي الأمين ﴾.. فقلّب الشيخ الصالح بصره في السماء وكأنما يريد إلهام ربّه ثم تطلّع إلى موسى ﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى إبنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ واطمأن «موسى» لرحمة ربه وما أراه في ذلك الشيخ الصالح من إيمان، فقبل... وراح الشيخ الصالح يشهد الله على ذلك الزواج المبارك، فأمسك بموسى و﴿قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ﴾ من آية (٢٥) سورة القصص.

قالت يهود ونصارى «بني إسرائيل» إن ذلك الشيخ الصالح كـان كاهن مـدين ويقال لـه «يترون» (١).. وقالت إنه كان له سبع بنات (٢) وإن السبع بنات كن عند البئر ليسقين. وهذا كذب فقد بيّن الله لنا إنهما كانتا إثنتين (٣).

---

(١) خروج: ١٨: ١.

(٢) خروج: ٢: ١٦.

(٣) آية (٢٣) سورة القصص.

وقد يوحي قول يهود ونصارى عن ذلك الشيخ الصالح إنه كان كاهن مدين.. بأن ذلك الشيخ كان على دين الشرك والكفر... كما سبق وقالت عن حمو نبي الله «يوسف» إنه كان «كاهن أون»[1] فما كان الله ليزوّج أنبياءه من آل إبراهيم، من غير المؤمنات الصالحات القانتات.. فحمو نبي الله «موسى» كان من المسلمين المؤمنين الذين كانوا على دين الله الذي بُعث به الأنبياء من قبل كما كان حمو نبي الله «يوسف»... وكان شرط حمو موسى زواجه من إبنته أن يخدم «موسى» حموه ثمانية حجج... والحج عند الله لا يكون إلّا لبيت الله الحرام بأم القرى مكة من بعد أن طُهّر البيت العتيق وترك «إبراهيم» بنيه من «إسماعيل» حوله ليقيموا فيه الصلاة ولتهوي أفئدة الناس إليهم. وكان في قدر الله ألّا يزوّج «موسى» نبي «بني إسرائيل» منهم.. فأخرجه من مصر بما كان. وجاء به إلى مدين ليزوّجه من إبنة ذلك الشيخ الصالح الذي أقام دين الله في مدّين ولم يُفتن كما فُتن الكثير من «بني إسرائيل».

---

(١) تكوين: ٤١: ٤٥.

رسالة الله:

وقضى نبي الله « موسى » الأجل الذي قدره الله له حتى يزوجه من إبنة ذلك الشيخ الصالح... ثم راح « موسى » بهدى ربّه يعّد نفسه للرحيل من « مدّين » [1]... وكان موسى يطلب أن يخرج هو وزوجه من « مدين » شمالاً ثم شرقاً حيث « بني قبط » إبن نبي الله « إسماعيل » الذين كانوا يقيمون شمال العقبة في عاصمتهم البتراء [2] وحولها... ومنها إلى أرض التين والزيتون بفلسطين، هرباً من مصر وخوفاً من فرعونها من بعد أن قتل من أهل مصر الذي قتله.... وكان الله قد قدّر لـ « موسى » من النعم ما لم يحلم به.

﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من

---

(١) وبلاد مدين كانت تقع على الجانب الغربي من البحر الأحمر « خليج العقبة » حتى « أيلات » و« عصيون جابر » يحدّها غرباً جبل الطور [كتاب الكنيسة المقدّس: القاموس: صفحة: ١٦٢].

(٢) « البتراء » كما يعرفها العرب أو « بترا » كما يسميها الغرب أو « سالع » كما يذكرها يهود ونصارى في تاريخهم وهي كانت على الطريق البرّي الذي يصل جبل الطور ماراً بأرض مدين قرب خليج العقبة حتى « القدس »..
وكانت في منتصف المسافة تقريباً بين الطور والقدس..

جانب الطور ناراً. . . . . . . ﴾. . . . كانت ليلة مباركة قدّر الله فيها أن يكلّم موسى تكليماً. . . راح « موسى » في تلك الليلة يطلب هدّي الطريق وكأنّما خُفي عنه معالمه. . . . وأحسّ هو وأهله بقشعريرة فأراد أن يوقد ناراً، فلم يجد ما يوقده. . . فرأى ناراً في جانب الطور ﴿. . . . قال لأهله إمكثوا إني آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بخبر = يعرف منه هدي الطريق = أو جذوة من النار لعلكم تصطلون. فلما آتاها. . . . . . ﴾، أُخذ بما رأى وتسمّرت قدماه. . رأى الشجرة مضيئة بنور لم يعلموه من قبل ولا أحد بجانبها. . . وتعلّقت عيناه بنور الشجرة. . وراحت أذناه تنصت إلى سكون لم يعهده من قبل فبقي مبهوتاً بما يرى ويسمع لا يحّرك ساكناً. . . وما هي إلاّ أوينات حتى سرى في بدنه صوت ملأ كل جوارحه. . و ﴿. . . نودي من شاطىء الواد الأيمن = لجبل الطور = في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾ آية (٣٠) سورة القصص.

وانتفض موسى مما كان فيه، فراح الصوت المبارك يطمئن قلبه ويقول: ﴿ إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا فأعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى. فلا يصدّنك عنها من لا يؤمن بها

واتبع هواه فتردّى. وما تلك بيمينك يا موسى ﴾.... فتحسسّ موسى ما في يده وتحدّث قلبه ﴿ قال هي عصاي أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾... فآتاه الصوت المبارك و﴿ قال ألقها يا موسى ﴾... فمدّ موسى يده ﴿ فألقاها فإذا هي حية تسعى ﴾. من آية (١٤) سورة طه.

وتطلّع موسى لعصاه ﴿... فلما رآها تهتّز كأنها جان ولى مدبراً ولم يُعقب...﴾ فناداه الصوت المبارك ﴿.. يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ آية (٣١) سورة القصص.... فأقبل موسى نحو عصاه، فراح الصوت المبارك يطمئنه ﴿ قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾... فأمسك بها فأنقلبت إلى حالتها الأولى أصبحت عصاة.... فراح موسى يتمعّن فيها وقد تملّكته الدهشة.. فسرى في بدنه الصوت المبارك يقول ﴿ وأضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ﴾... فلم يدر موسى إلاّ وقد ضم يده إلى جناحه وأخرجها فإذا هي مضيئة بيضاء بغير سوء، فراح يتأملها ويسبّح بحمد ربّه.. فآتاه الصوت الحبيب ليزيد من إيمانه يقول ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى. إذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾. من آية (٢١) سورة طه.

فخرّ « موسى » ساجداً لله يدعوه ﴿ قال رب إشرح لي صدري. ويسر لي أمري. وأحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي. واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي. أشدد به أزري. وأشركه في أمري. كي نسبحك كثيراً. ونذكرك كثيراً. إنك كنت بنا بصيراً ﴾... من آية (٢٥) سورة طه.

فسرى في بدن « موسى » الصوت المبارك ﴿ قال قد أوتيت سؤلك يا موسى. ولقد مننّا عليك مرة أخرى. إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى. أن أقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني. إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا تحزن. وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتنّاك فتوناً فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى. واصطنعتك لنفسي. إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري. إذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكر أو يخشى ﴾ من آية (٣٦) سورة طه.

وتذكّر موسى ما كان من قتله للمصري وإنه فرّ هارباً من وجه القوم، فراح يتضّرع لربّه ﴿ قال رب إني قتلت

منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني ﴾ آية (٣٣) القصص. . .، فأتاه الصوت المبارك ﴿ قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى. فآتياه فقولا إنّا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذّبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من إتبع الهدى. إنّا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذّب وتولّى ﴾ من آية (٤٦) سورة طه.

دعوة « موسى » و « هارون »:

وتلّقى « موسى » من ربّه في تلك الليلة المباركة رسالته تعالى للقوم الذي إختاره لهم. . . . ولكن إلى من كانت دعوة « موسى » و « هارون »؟. . . إن من المفسرين من ذهب بقول يهود ونصارى « بني إسرائيل »، بأن دعوة « موسى » و « هارون »، كانت لبني إسرائيل خاصة دون غيرهم من الناس. . . وهذا القول، ليس بالقول الذي بيّنه الله لنا في محكم آياته.

فقد بيّن الله لنا في قرآنه الحكيم أن دعوة موسى وهارون كانت إلى فرعون وملائه. . . وكانت إلى بني إسرائيل. . . فالله يقول ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فأستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ آية (٧٥) سورة يونس. . . وبيّن الله لنا في

محكم آياته دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه حينما كذبوهما، فقال تعالى ﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملاءه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا إطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ آية (٨٨) سورة يونس.. والله يقول ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين. فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون. وما نريهم من آية إلاّ هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهّم يرجعون. وقالوا يا أيها الساحر إدع لنا ربّك بما عهد عندك إننا لمهتدون ﴾ من آية (٤٦) سورة الزخرف... والله يقول ﴿ ولقد فتنّا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم. أن أدوّا إليّ عباد الله إني لكم رسول أمين ﴾ من آية (١٧) الدخان...

... والله يقول ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر. كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ من آية (٤١) سورة القمر...

والله يقول ﴿ وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة. فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ من

آية (٩) سورة الحاقة... والله يقول ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً. فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾ من آية (١٥) سورة المزمل.

... والله يقول ﴿ هل آتاك حديث موسى. إذ ناداه ربّه بالواد المقدس طوى. إذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تـزكىٰ. وأهديك إلى ربّك فتخشى. فأراه الآية الكبرى. فكذب وعصى. ثم أدبر يسعى. فحشر فنادى. فقال أنا ربكم الأعلى. فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ من آية (١٥) سورة النازعات.

هذا ما بيّنه الله لنا في محكم آياته عن دعوة « موسى » و« هارون » وما كان منها من دعوة إلى فرعون وملائه... فهل هناك قول بعد ذلك لمن يقول بقول يهود ونصارى أن دعوة نبي الله « موسى » وأخيه « هارون »، كانت لبني إسرائيل خاصة دون غيرهم من البشر؟!

ولقد سبق لنا أن بيّنا في هذا الكتاب عند ذكر « فساد بني يهوذا » إنه كان في زمان موسى من أهل مصر وكان مسلماً يدين بدين الله الذي دعى إليه أنبياء الله الذين جاءوا مصر. إدريس وإبراهيم ويعقوب ويوسف..

وبيّن الله لنا من هؤلاء المسلمين، ذلك الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه خوفاً من طغيان فرعون [1] . . . وإمرأة فرعون التي ضربها الله مثلاً للمؤمنات . . تلك المرأة المؤمنة التي جعلها الله سبيلاً لإنقاذ نبيه « موسى » من طغيان فرعون [2] . . . وأولئك السحرة الذين كانوا يعلمون دين الله ويعلمون كذب فرعون الذي إستحوّذ عليهم تارة بماله وتارة بطغيانه وبطشه، فلما راؤا آيات الله التي أتاها نبيه « موسى »، آمنوا برسول الله وجهروا بكفرهم بـ « فرعون » وما يدعو إليه . ، فراح فرعون يهدّدهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ﴾ من آية (٧٢) طه .

وبيّن الله لنا في محكم آياته أن الذين آمنوا بدعوة « موسى » و « هارون » كان فيما بينهم كثير من المصريين

---

(١) من آية (٢٨) حتى آية (٤٤) سورة غافر.

(٢) آية (١١) سورة التحريم.

ومن آل فرعون وملائه يدعونهم إلى دين الله، ورأى فرعون وملاؤه المؤمنين منهم وقد أرادوا الخروج مع « موسى » وهارون ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم ° يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ﴾ من آية (١٠٨) الأعراف.

.... وراح فرعون يستهزأ بدعوة الله ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ﴾ آية (٥٧) سورة طه...

فكان مما جعله الله نكالاً لفرعون ومن حوله، إلتفاف المؤمنين المصريين حول « موسى » و« هارون » وما أرادوه من الخروج إليهما وترك نعيم مصر ونعيم الدنيا كلها في سبيل « دعوة الله »... فخطاب فرعون والملأ من قومه هنا، كان للمؤمنين من أهل مصر.. ولم يكن للمؤمنين من « بني إسرائيل » الذين وفدوا على البلاد في زمان نبي الله « يوسف ».. والأرض المعنية هنا، أرض مصر والخطاب الذي بيّنه الله هو ﴿... إن هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم...﴾.

ولمّا تمسّك المؤمنون المصريون بدعوة الله... ورأى أئمّة الكفر من قوم فرعون ما أصرّ عليه المؤمنون المصريون

وما أرادوه من الخروج إلى موسى وهارون، فأجمعوا أمرهم ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال ـ فرعون ـ سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنّا فوقهم قاهرون ﴾ آية (١٢٧) سورة الأعراف.

فقوم « موسى » هنا هم المؤمنون المصريون ولم يكن من المؤمنين من « بني إسرائيل »... ففرعون هنا يقول: سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم... فقتل أبناء أولئك القوم واستحياء نساءهم، كان أمراً جديداً ولم يكن من قبل بدليل قول فرعون: سنقتل، وهذا للمستقبل... فأصحاب موسى المعنيون هنا هم المؤمنون من المصريين إذ لم يكن هناك أمر من فرعون بقتل أيّ من أبناء المصريين واستحياء نسائهم، إنما كان أمره قاصراً على قتل أبناء « بني إسرائيل » واستحياء نسائهم وكان هذا الأمر معمولاً به من قبل أن يولد نبي الله « موسى ». وقد بيّن الله لنا ذلك في سورة القصص بقوله تعالى ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم ويُذَبّحُ أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين. ونريد أن نمنّ على الذين أستضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكنّ لهم في الأرض ونَري فرعون وهامان

وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون. وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين. فألتقطه آل فرعون ليكون لهم عدّواً وحزناًإنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين. وقالت إمرأة فرعون قرّت عين لي ولك لا تقتلوه.... ﴾ من آية (٤).

ويبقى هنا سؤال قد يقال.... كيف تكون دعوة « موسى » و« هارون » إلى « أهل مصر » وإلى « بني إسرائيل » وقد بينّ الله لنا في محكم آياته أن دعوة الأنبياء من قبل خاتم رسله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، كانت مقصورة على قومهم دون غيرهم من البشر.... و« موسى » و« هارون » كما نعلم من « بني إسرائيل »، فكيف يكون دعوتهما إلى غير بني إسرائيل؟!.

وقبل أن نجيب على هذا السؤال، نعود إلى قرون مضت «قبل مبعث نبي الله «موسى».. حين اختار الله خليله « إبراهيم » ليهدي قومه.. فدعوة نبي الله « إبراهيم » كانت في قومه من « بني عابر»... دعى منهم أول من دعى أولئك الذين كانوا يسكنون ما بين النهرين دجلة والفرات، فكذبوّه وأرادوا حرقه وهلاكه في النار فأنقذه الله

منهم وأمره بالهجرة إلى « بني عابر » الذين كانوا يسكنون أرض فلسطين وحول « بيت المقدس » الذي كان يقال له حينئذ « أور سالم »، فآمن منهم من آمن بدين الله وأقام خليل الله بيتاً لله في « أور سالم » أقام فيه دين الله « الإسلام » الذي بُعث به. . . ثم أمره الله بالهجرة إلى مصر حيث حكامها من الهكسوس وهم أحد بطون « بني عابر » ليهديهم إلى دين الله، فآمنوا به وتباركوا به وأهدوا إليه من خير الله الذي أنعم به عليهم وكانت منهم « هاجر » التي رزقه الله منها أول من رزقه من الولد « إسماعيل ». . . فرسالة إبراهيم كانت لـ « بني عابر » جميع من سكن منهم شمال الجزيرة العربية في ذلك الزمان تلك الأرض التي بين ما بين النهرين حتى مصر.

ومات خليل الله « إبراهيم » تاركاً ولده نبي الله « إسماعيل » ليقيم حول « بيت الله الحرام » عند « أم القرى » مكة، لقيم الذرّية التي تحافظ على طهارة البيت ليقيم حوله الصلاة التي أرادها الله ولتهوى إليهم أفئدة المؤمنين حاجين إلى بيت الله على مدار الزمان. . . وتاركاً ولده نبي الله « إسحاق » ليقيم في أرض التين والزيتون يدعو من حولها من « بني عابر » إلى دين الله.

واختار الله « يعقوب » نبياً ليكون إماماً لقومه من « بني عابر » من بعد أبيه « إسحاق ». . . وبقيّ « يعقوب » في أرض التين والزيتون إلى ما شاء الله وكان من بنيه « بني إسرائيل » ما كان مع أخيهم نبي الله « يوسف » فأنجاه الله منهم وملكّه مفاتيح أرض مصر التي كان يملكها «الهكسوس» أحد بطون « بني عابر ». وبينّ الله لنا كيف رفض « يوسف » أن يجيب طلب « ملك مصر » أيامئذ ليكون إلى جواره، إلاّ من بعد أن يبينّ للناس أمانته وعفتّه وأنه نبي من عند الله (١) . . . فآمن به ملك مصر وجعله أميناً على خزائن البلاد وزوّجه من المؤمنات القانتات اللاتي كن على دعوة الله التي جاء بها نبي الله « إبراهيم » جد يوسف إلى مصر. . . وجاء الله بعد ذلك بنبيّه « يعقوب » إلى مصر هو وأهله بجميع « بني إسرائيل » في أرض مصر حتى يتم قدر الله الذي قدرّه لهم إلى أن يبعث فيهم نبيه « موسى ».

فدعوة نبي الله « يعقوب » وولده نبي الله «يوسف»، كانت في قومهما من « بني عابر » بأرض

---

(١) سورة يوسف من آية (٣٧) وما بعدها.

التين والزيتون وفي أولاد أعمامهم من « الهكسوس » الذين حكموا مصر في تلك الأيام (١) .

فحين بعث الله « موسى » كانت مصر لا تزال تحت سلطان الهكسوس.. وكان فرعون موسى منهم (٢) .... فجاءت دعوة « موسى » و« هارون » إلى بطنيّ « بني عابر »:] بني إسرائيل » و« الهكسوس » الذين حكموا مصر قروناً طويلة... من قبل بعث نبي الله « إبراهيم » حتى بعث نبي الله « موسى »... ويقال أن آخرهم كان فرعون موسى ومن بعده وثب المصريون وتمكّنوا من حكم بلادهم وأسّسوا الأسرة الثانية عشر [حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد].

وهكذا يتبيّن لنا أن دعوة « موسى » و« هارون »، كانت إلى «بني إسرائيل » وإلى « بني الهكسوس » حكام مصر،

---

(١) بيّن الله لنا أن دعوة « يوسف » كانت لأهل مصر من الهكسوس وذلك فيما جاء به قرآنه تعالى على لسان مؤمن آل فرعون إذ قال لهم ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات.... ﴾ من آية (٣٤) سورة غافر.

(٢) الطبري - دار المعارف مصر - جزء أول صفحة ٢٨٦ - إبن خلدون جزء ثان صفحة ٤٧ - العرب قبل الإسلام جرجي زيدان جزء أول صفحة ٥٣.

بطنيّ « بني عابر » ولم تكن مقصورة على « بني عابر » كما يقول يهود ونصارى « بني إسرائيل » ومن قال بقولهم.

ورسالة الله إلى نبيه « موسى » وأخيه « هارون »... كانت كما بيّنها لنا تعالى تحوي أمرين... الأمر الأول: خاص بدعوة فرعون وملائه إلى العودة إلى « دين الحق » الذي كان عليه آبائهم ملوك مصر في زمان نبي الله « إبراهيم » ونبي الله « يعقوب » وولده نبي الله « يوسف »، فقد كانوا « مسلمين ».[1] ... فالله يقول ﴿ هل أتاك حديث موسى. إذ ناداه ربّه بالواد المقدس طوى. إذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تزكىٰ. وأهديّك إلى ربك فتخشى ﴾ من آية (١٥) سورة النازاعات.. وحين دعا « موسى » ربّه أن يشرك معه أخاه « هارون » في دعوته، أجابه الله وقال ﴿ أذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكر أو يخشى ﴾ آية (٤٣) سورة طه.

---

(١) لقد بيّن الله لنا على لسان مؤمن آل فرعون، أن أجداد فرعون موسى كانوا من آمنوا بدعوة نبي الله « يوسف ».. فيقول تعالى ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبيّنات... ﴾ آية (٣٤) سورة غافر.

والأمر الثاني: خاص بدعوة فرعون لترك عباد الله المؤمنين من « بني إسرائيل » للخروج من مصر ومصاحبة نبي الله « موسى » الى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين.... فالله يقول لرسوليه « موسى » و« هارون » ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربّك والسلام على من إتبع الهدى﴾ آية (٤٧) سورة طه... ولكن هل كان أمر الله إلى فرعون بأن يرسل جميع « بني إسرائيل » كافرهم ومؤمنهم، مع موسى وهارون؟!... أن المتدبّر لآيات الله الحكيمة يرى أن أمر الله كان بإرسال «المسلمين» من بني إسرائيل دون غيرهم... أولئك الذين بقوا على « دين الله » الذي بُعث عليه « إسرائيل » نبي الله « يعقوب » وآبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والذي وصى به « إسرائيل » بنيه قبل موته فالله يقول ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ آية (١٣٣) سورة البقرة.... وقد بيّن الله لنا ذلك في قوله تعالى ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم. أن أدوّا إلى عباد الله إني لكم رسول أمين﴾ من آية (١٧) سورة

الدخان. . . وكان أمر الله إلى « موسى » أن يسير بعباده المؤمنين فقط فالله يقول ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فأضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى. فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾ من آية (٧٧) سورة طه.

فأمر الله إلى فرعون كان بإرسال المسلمين مع « موسى » ولم يكن بإرسال جميع « بني إسرائيل » مسلمهم وكافرهم كما أدعت يهود ونصارى بني إسرائيل في كتبهم. . فما كان الله أن يرسل الكافرين مع نبيه « موسى » وأخيه «هارون» إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

وقد وصف الله تعالى خروج المؤمنين المسلمين من «بني إسرائيل» مع موسى وهارون بقوله تعالى في سورة يونس ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم. . .﴾ آية (٨٣). . . فبيّن تعالى هنا أن المؤمنين الذين إتبعوا موسى، كانوا قلّة وأنهم كانوا يخشون طغيان فرعون ويخشون فتنة الكافرين من قومهم. . . . ﴿. . . على خوف من فرعون وملائهم. . . .﴾. . . ﴿ وقال موسى = للمؤمنين المسلمين = يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم

مسلمين ﴾ آية (٨٤)... وهنا يبينّ لنا الله أن موسى كان يشدّ من أزر قومه المسلمين... ﴿ فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين = يهود بني إسرائيل ومن تبعهم = ونجنّا برحمتك من القوم الكافرين = وهم فرعون وملاؤه = ﴾ آية (٨٦).... ﴿ وجاوزنا بنبي إسرائيل = المسلمين منهم = البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت إنه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل = المسلمون منهم = وأنا من المسلمين ﴾آية (٩٠).

فأصحاب «موسى» الذين ساروا معه كان جميعهم من المسلمين ولم يكن معهم أيّ من «يهود» بني إسرائيل ومن إتبعهم... وكانوا شرذمة قليلة العدد وصفهم الله تعالى في سورة يونس (١) كما بيّنا من قبل بالقلة... ووصفهم تعالى على لسان فرعون في سورة الشعراء بقوله تعالى ﴿ فأرسل فرعون في المدائن حاشرين. إن هؤلاء لشرذمة قليلون. وأنهم لنا لغائظون ﴾ من آية (٥٣)

فدعوة « موسى » و« هارون » كانت إلى فرعون

---

(١) آية (٨٣) سورة يونس.

ومـلائـه، الهكسـوس « بني عـابـر » أولاد أعمـام « بني إسرائيل »، ليرجعوا عن طغيـانهم ويعودوا إلى دين الله « الإسلام » الذي دعاهم إليه أنبياء الله من قبل، إدريس وإبـراهيم ويعقوب ويـوسف.... وكانت بـأمـر الله إلى فرعون بأن يرسـل المسلمين من بين إسـرائيل مـع نبيّيه « موسى » و« هارون » للخروج من مصر إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين..

أما كيف خرجت يهود « بني إسرائيل » ومن إتبعهم من مصر... فذلك حديث آخر في كتابنا اللاحق من هذه المجموعة بإذن الله.

تم الكتاب

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة